قراءة في كتاب

وثاقة نقل النصّ القرآني الكريم من رسول اللّه -صلى اللّه عليه وسلم- إلى أمته

تأليف: أ.د/ محمد حسن حسن جبل

٩

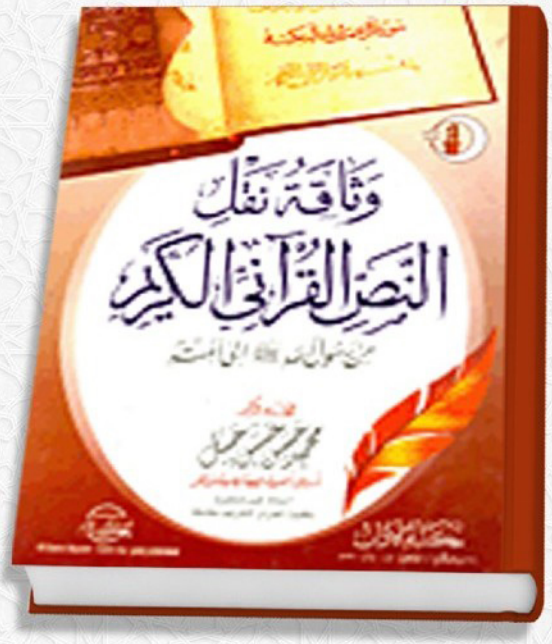

إعداد

إبراهيم عبد القادر الوزان

مركز تفسير للدراسات القرآنية
Tafsir Center For Qur'anic Studies
www.tafsir.net

المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

قراءة في كتاب

(وثاقة نقل النصّ القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته)

تأليف: الدكتور/ أ.د. محمد حسن حسن جبل[1]

يعدّ الرجوع إلى النتاج العلمي السابق ودراسته دراسة جادّة، خطوة لها مركزيتها وأهميتها في النهوض بالعمل العلمي وتطويره، والارتقاء به نحو فضاءات أكثر ريادة وعمقًا؛ وذلك لما تُتيحه هذه الخطوة المهمّة من إدراك لمواطن القوة في هذا النتاج التي يجب تنميتها ومتابعتها، ومكامن الضعف والقصور التي يتوجّب الخطو إلى تلافيها؛ ومن هنا ارتأى موقع تفسير إطلاق سلسلة من القراءات التقويمية للمؤلفات في مختلف فروع الدراسات القرآنية، آملًا من وراء ذلك الإسهام في تسليط الضوء على طبيعة واقع التأليف في حقول الدراسات القرآنية، وكشف جوانب القوة والضعف فيه، وتحديد مواطن النضج والقصور، وكذلك فتح العديد من الآفاق البحثية، والمجالات المعرفية للباحثين والدارسين؛ عبر ما تُثيره هذه القراءات من إشكالات وملحوظات.

موقع تفسير

بيانات الكتاب:

اسم الكتاب: وثاقة نقل النصّ القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته.

اسم المؤلف: أ.د/ محمد حسن حسن جبل.

نوع الكتاب: غير أكاديمي (للنشر العام).

عدد الصفحات: (٢٥٦) صفحة.

الناشر: دار الصحابة، طنطا، مصر.

سنة النشر: ٢٠٠١م.

رقم الطبعة: الأولى.

(١) فازت هذه القراءة بالمركز الخامس في مسابقة موقع تفسير (قراءة في كتاب)، والتي أعلن عنها ١٢/ ١٠/ ١٤٤٠هـ الموافق ١٥/ ٦/ ٢٠١٩م. (موقع تفسير).

المؤلف في سطور:

هو الأستاذ الدكتور/ محمد حسن حسن جبل، ولد بقرية (تَيْدة) محافظة كفر الشيخ، بتاريخ ١٠/ ٣/ ١٩٣١م، وتوفي ٢٤/ ٣/ ٢٠١٥م.

التحق بالأزهر الشريف حتى حصل على عالية اللغة العربية عام ١٩٥٦م، ثم الماجستير في (أصول اللغة) عام ١٩٦٧م، ثم الدكتوراه عام ١٩٧٦م.

وبجانب الدراسة الأزهرية حصل على ليسانس آداب في الفلسفة من جامعة القاهرة ١٩٥٧م، ثم دبلوم عام في التربية من جامعة عين شمس ١٩٥٧م، ثم دبلوم خاص في التربية ١٩٦٥م.

عُيِّن مدرسًا للغة العربية بوزارة التربية والتعليم، وبعد الدكتوراه عُيِّن بكلية اللغة العربية بالمنصورة، وتدرّج في السلّم الأكاديمي والإداري حتى حصل على الأستاذية، وعُيِّنَ وكيلًا، فعميدًا للكلية، واختير عضوًا للّجنة الدائمة لترقيات الأساتذة في أصول اللغة عام ١٩٩٧م، ثم انتقل إلى كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها بطنطا؛ ليقضي باقي عمره في خدمة القرآن الكريم إلى أن انتقل إلى جوار ربه[١].

(١) ينظر ترجمته بقلم ابنه: أ.د. عبد الكريم جبل، مقدمة المعجم المؤصل للمؤلف: ١٣-١٧، ط٤: مركز المربي، ١٤٤٠هـ.

خلَّف نتاجًا بالغ النفاسة، موزعًا على خدمة القرآن الكريم، ولغته العربية التي نزل بها، كـ(التلقي والأداء في القراءات القرآنية)، و(الرد على جولدتسيهر في مطاعنه على القراءات القرآنية)، و(المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم).

تمهيد:

لا يخفى على أحد مدى عناية علماء المسلمين بتوثيق وقوع النقل الصحيح للنصّ الشريف من رسول ﷺ إلى الأمة نقلًا مباشرًا ودقيقًا.

والناظر الفَطِن يلحظ حضور هذه القضية في كثير من الدراسات القرآنية: كتاريخ المصحف، وعلم الرسم المصحفي، وتاريخ علم القراءات...إلخ؛ وذلك لأهميتها وتشعُّبها.

بَيْدَ أن هذه العناية كانت منصبَّة على بيان سبيل النقل الخطِّي، والكتابيّ للنصّ الكريم، ولم ينتبه لسبيل النقل الشفهي وأهمية توظيفه في خدمة هذه الإشكالية إلّا بعضٌ ممَّن عرضوا لفكرة الطبقات؛ كابن الجزري[١]، والذهبي[٢].

(١) في كتابه (غاية النهاية في طبقات القراء).

(٢) في كتابه (معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار).

وبالرغم من هذا الحضور الكبير إلّا أن المتأمل في المكتبة القرآنية يلحظ ندرة الظفر ببحث[1] يبرز سبيلي وثاقة نقل النصّ الكريم، سيما النقل الشفهي؛ فيؤصّل له، ويفصّل صوره، ويوثّق جزئياته، ويبيّن مدى أثره، ويجمع بين رافدي (النقل الكتابي، والنقل الشفاهي) في آنٍ واحد.

وتأتي أهمية هذا الكتاب بأنه سدّ هذه الثغرة؛ حيث عرض لفكرة الجمع الشفهي بصورة موسّعة، ومزجها بجانب التواتر الخطِّي؛ لإثبات انتقال النصّ القرآني بين الأجيال دون تحريف أو تبديل.

ومِن ثَمّ فالكتاب محاولة جديدة، وشديدة الندرة في إثبات سلامة وصول النص القرآني إلينا من خلال فكرة النقل الشفهي للقرآن الكريم، وهو ما يجعل من قراءته والنظر في طرحه أمرًا له وجاهته وأهميته.

والناظر للكتاب يرى أنه لم يعالج الوثاقة من جانب الشفاهة فقط، وإنما تناوَل التدوين الكتابيّ كذلك، بَيْد أنّ هذه القراءة ستنشغل بالأول دون الثاني.

(١) اطلعتُ على كتاب (تاريخ توثيق نصّ القرآن الكريم)، أعدّه الشيخ/ خالد عبد الرحمن العك، الناشر: دار الفكر المعاصر، سوريا، دمشق، ط١: ١٩٧٨م، ط٢: ١٩٨٦م، غير أنه تعرض لتاريخ تدوين النصّ القرآني، ولم يعرض لفكرة التوثيق الشفهي.

فما أهم النقاط الشائكة التي حاز قصب السبق في معالجتها؟ وكيف وظَّفَ طبقات القرّاء، والذين استظهروا القرآن في حياته ﷺ في معالجة هذه القضية الشديدة الأهمية؟ وهل طبقة مقرئي العامّة مؤثّرة في هذه القضية؟

وبيان ذلك، والكشف عنه هو ما تصبو إليه هذه القراءة.

محتويات الكتاب:

احتوى الكتاب على مقدمة، وبابين، وخاتمة:

فأمّا **المقدمة** فاحتوت على هدف الكتاب، والأسباب الداعية لتأليفه، وإشكاليته، ومنهج المعالجة.

وأمّا **الباب الأول** فاحتوى عشرة فصول، واختصّه بدراسة سُبل النقل الشفاهي للقرآن الكريم؛ فتعرض لتعريف التلقي، والإقراء، والعرض، وذكر أسماء العارضين على النبي ﷺ مباشرة، والمستدركين منهم، ثم ذكر أسماء العارضين على الذين عرضوا على رسول الله ﷺ مباشرة، والمستدركين منهم، وجمع صور تبليغ النصّ القرآني شفاهيًّا بغير عَرْض، وتناوَل أسماء الذين استظهروا القرآن في حياته ﷺ، ثم ذكر طبقة مقرئي العامة، وتناول استفاضة القرآن في الأمة، وذكر الأئمة العشرة، وأسانيدهم، ومعنى نسبة القراءة إليهم، وختم بتساؤلات عن سِرّ تعدّد القراءات، ومداه.

واحتوى **الباب الثاني** على أربعة فصول، واختصّه بدراسة وثاقة النصّ القرآني بالتدوين الخطي في عهد النبي ﷺ؛ ثم جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم انتساخه في عهد عثمان رضي الله عنه، وختم بمسائل متعلقة بالمصاحف.

أمّا **الخاتمة**، فذكر ما أفرزه البحث من سَبِيلَيْن عِلميَّيْن لتواتر نقل النصّ الكريم من النبي ﷺ إلى أمته.

هدف الكتاب:

نصّ المؤلف في مقدمته على أن هدفه «تزويد المسلم بحجّة علميّة راسخة توثق وقوع النقل الصحيح للنصّ الكريم من رسول الله ﷺ إلى الأمة نقلًا مباشرًا، ودقيقًا، وتفصيل صور هذا النقل، وتوثيقها...؛ ليكون الباحث المسلِم مسلَّحًا بالأدلة العلمية في مواجهة الذين يطعنون في القرآن من هذا الجانب»[1].

الإشكالات الرئيسة للكتاب:

تتمحور إشكالية الكتاب حول قضية وثاقة نقل النصّ القرآني، ووصوله من رسول الله ﷺ إلى أمّته كما هو بَيِّنٌ من عنوانه.

والإشكالية بهذه الصورة جعلته يتناول الدراسة من جانبين أساسين، هما: سبيل التوثيق الشفاهي، والتوثيق الخطيّ (الكتابيّ).

وسبيل النقل الخطِّي عالجه كثيرٌ من المؤلفين، أمّا سبيل النقل الشفهي فهو الجديد النادر الذي لم يتناوله غيره بالكيفية التي تناولها.

ولا شك أن هذه الإشكالية متشعِّبة، والولوج إلى ساحتها يولّد إشكالات أخرى مبنيّة عليها، وتحتاج في مقاربتها جهدًا ضخمًا، وتركيزًا شديدًا، وهذا ما دفع المؤلف إلى دراسة سبل النقل الشفهي بصورة دقيقة، وعميقة؛ لتعزيز تحقّق التواتر الشفهي للنصّ الشريف.

---

(١) وثاقة نقل النصّ القرآني من رسول الله ﷺ إلى أمته، ص٨.

فكيف تعاطَى المؤلف مع هذه الإشكالية؟ وكيف قاربها؟ هذا ما ستعرضه السطور الآتية.

التلقِّي، والعرض، والإقراء:

(التلقي، والعرض، والإقراء)، ولعلّ سائلًا يسأل: ما الذي دفع المؤلف لمعالجة هذه المصطلحات، ويبدأ بها؟

والواضح أن (التلقي، والعرض، والإقراء) من المصطلحات المشهورة، التي لها حضور تاريخي في قضية الشفاهة، ومع ذلك لم تلقَ العناية اللائقة من الوقوف على ماهيتها، وضبط المراد منها، وتحرير دلالتها؛ ومِن ثَمَّ كان لا بد للمؤلف من ولوج هذا الأمر أولًا مع محاولة تدقيق المفاهيم حتى يتوصّل لغرضه من دراسة وثاقة النصّ من خلال الشفاهة، وهو ما جعل المؤلف يبدأ بتناول هذه الاصطلاحات ويعقد لها الفصل الأول؛ لمحاولة مقاربتها، ووَضْع تعريفٍ يميز كل مصطلح عن الآخر؛ لأنها المدخل لدراسة النقل الشفهي؛ وفيما يلي بيان لِسَيْرِه في مقاربة هذه المصطلحات:

التلقِّي:

قال: «معناه: الاستماع إلى مَن يتلوه بصوت يُسْمَع بوضوح؛ بغيةَ استظهاره بمثل ما يُتلَى، فالتلقي هنا استقبال بالسماع، وقبول مع حرص شديد على وعي

المسموع، كما يؤخذ من صيغة (التفعّل)»[١]، وبنَى تعريفه هذا على الاستعمال القرآني لـ(التلقي)، دون الرجوع إلى استعمال اللغة، حيث تتبّع المواضع التي تحدثت عن تلقي رسول الله ﷺ القرآن، سواء كانت بلفظ (التلاوة، أو القراءة، أو التلقي)؛ ولذا ذكر كيفيات تلقي الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام.

العرض:

ذكر أن معناه في اللغة: «إبراز الشيء وإظهاره؛ ليُرَى»[٢]، وفي الاصطلاح: «قراءته عن ظهر قلب أمام من يستعرضه، أو يحيط به»[٣]، ثم حلّل التعريف، وناقشه، وخلص إلى أنّ المراد به عند علماء القراءات: «تلاوة القرآن عن ظهر قلب أمام مَن يطلب ذلك، أو يحيط بالقرآن مع ضبط عامّ، أو خاصّ»، وفسّر (الضبط العامّ): بـ(اللغة). و(الخاصّ): بـ(الأداء) حسب الرواية التي يقرؤها[٤].

وقد أحسنَ المؤلف بذكرِه لقيد (عن ظهر قلب)؛ إذ به فرّق بين تلقِّي الحديث النبوي الشريف وتلقِّي القرآن الكريم، كما دفع إشكالية الإجازة المنتشرة اليوم بين الناس بدون حفظ، مما يدلّ على أن الإجازة من غير حفظ

(١) وثاقة نقل النصّ القرآني من الرسول إلى أمته، ص١٢.

(٢) المرجع السابق، ص١٧.

(٣) المرجع السابق، ص١٨.

(٤) المرجع السابق، ص١٨، ١٩.

هي والعدم سواء، وبهذا أيضًا علّل لقلّة عدد الذين عرضوا على الرسول ﷺ، والذين بلغ عددهم سبعة عند الذهبي.

الإقراء:

ذكر أن المقصود به: «أن يُقرِئ الرسولُ ﷺ الصحابيَّ ما أنزله الله عليه ﷺ، أي: جعله يقرؤه، وذلك بأن يَقرأَ النبيُّ ﷺ أولًا على الصحابي (أي: يُلقِي عليه تلاوة) ما أنزله الله عليه؛ فَيَعِيَه الصحابيُّ، ثم يَقرأ الصحابيُّ ما تُلِي عليه مطابقًا لما سمعه»[1]، وهذه هي الصورة المثلَى في التلقي (الإقراء والعرض).

والملاحظ هنا أنه ذكر المقصود من الإقراء مباشرة من غير ذكر التعريف اللغوي، أو الاصطلاحي.

وعلى أيّ حال؛ فسعيه لمقاربة هذه التعريفات، ومحاولة إبراز الفروق بينها، له حظه في النظر إلى ما بعد ذلك من أسماء العارضين على النبي ﷺ مباشرة، والعارضين على الذين عرضوا على رسول الله ﷺ مباشرة.

(١) وثاقة نقل النصّ القرآني من الرسول إلى أمته، ص١٦.

الطبقة الأولى: (العارضون على النبي ﷺ مباشرة، والمستدركون منهم):

برع علماء المسلمين في فكرة الطبقات التي أسّست لمعالجة إشكالية النقل الشفهي للنصّ القرآني بين الأجيال؛ ومِن أشهر مَن كتب في ذلك الإمام الذهبي[١]، حيث عيَّن قراء القرآن الكريم في كلّ طبقة من طبقات التلقي، وبلَغ عددُ قرّاء تلك الطبقات أربعة وسبعمائة قارئ، مع تعيين مَن تلقَّى عنه كلُّ قارئ قراءته عرضًا، موزعة على ثمان عشرة طبقة، وبلغ عدد الذين أخذوا القرآن عرضًا مباشرًا على رسول الله ﷺ سبعة[٢]، وضابط اختياره لهم محصور في أن يكون أحدهم عرَض على النبي ﷺ مباشرة، وأن يكون رأسًا في سلسلة أحد القراء الذين اعتمدَت الأُمة قراءتهم.

وقد أحسنَ المؤلف إِذْ خصص الفصل الثاني لبيان انتقال النصّ شفاهيًّا من الرسول ﷺ إلى أصحاب هذه الطبقة مباشرة، واستدرك عليه تسعة أسماء[٣]؛ فأوصلهم إلى ستة عشر رجلًا، وتيقّن لديه ستة رجال منهم استوفوا الشرطَيْن؛

---

(١) في كتابه (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لطبقات القراء).

(٢) وهم: (عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأُبيّ بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت بن الضحاك، وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس، وأبو الدرداء عويمر بن زيد). ينظر: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص٩-٢٠.

(٣) هم: (أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وواثلة بن الأسقع، ومعاذ بن جبل، وفضالة بن عبيد الأنصاري، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك، وعبادة بن الصامت، وعقبة بن عامر الجهني). ينظر: وثاقة نقل النص القرآني من الرسول ﷺ إلى أمته، ص٤٩.

وثلاثة استدركهم بناء على شرط العرض فقط؛ حيث لم يجد لهم امتدادًا قرائيًّا فيمن بعدهم[١]، فيصير العدد المتيقّن ثلاثة عشر[٢]، واستند في استدراكه على بعض الآثار والنُّقُول في ضوء ضابط الذهبي المذكور آنفًا.

وهذا من محاسن الكتاب؛ لأن حصر الذهبي قائم على «الذين بلَغَنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخِذَ عنهم عرضًا، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة»[٣]؛ ومِن ثَمّ لم يوافق المؤلف على أن أسانيد القرّاء العشرة دارت على هؤلاء فقط، لماذا؟ لأن بعض الأسانيد اتصلت بصحابة لم يذكرهم الذهبي.

فأسانيد (نافع[٤]، وابن كثير[٥]، وأبي عمرو[٦]) ترجع إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو لم يذكره. و(هشام، وابن ذكوان) قرَءا على أيوب بن تميم، وهو قرأ على يحيى الذماري، وهو قرأ على ابن عامر، وعلى واثلة بن الأسقع[٧].

---

(١) هم: (أبو بكر الصديق، وعبادة بن الصامت، وعقبة بن عامر الجهني). ينظر: وثاقة نقل النص القرآني من الرسول ﷺ إلى أمته، ص٢٩-٥١.

(٢) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني من الرسول ﷺ إلى أمته، ص٤٩.

(٣) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ص٢٠.

(٤) النشر في القراءات العشر، (١/ ١١٢).

(٥) السابق، (١/ ١٢٠).

(٦) السابق، (١/ ١٣٣).

(٧) تاريخ دمشق لابن عساكر، (٦٤/ ١٠٦)، وتاريخ الإسلام، (٣/ ١٠٠٧)، وغاية النهاية، (٢/ ٣٥٨).

ومن هنا استطاع المؤلف أن يُعْمِلَ فكرة الاستدراك؛ لإكساب توثيق النقل الشفاهي لنصّ القرآن الكريم مزيد رسوخ[١].

الطبقة الثانية: (العارضون على الذين عرضوا على رسول الله ﷺ مباشرة، والمستدركون منهم):

عدَّ الذهبي أحد عشر رجلًا في هذه الطبقة، بناءً على عَرْضِ كلِّ واحدٍ منهم القرآنَ على واحد أو أكثر من أهل الطبقة الأولى، وكونه له ذِكر في سند أو أكثر من أئمة القراءات[٢].

وقد عقد المؤلف الفصل الثالث لذلك، واستدرك أربعة عشر قارئًا، منهم امرأة[٣]، بناءً على ضابط الذهبي، وذكر آثارًا ونُقُولًا تَدْعَمُ استدراكه، وقد أحسن

---

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ، ص٥١.

(٢) هم: (أبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن السائب، والمغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وحطان بن عبد الله الدقاشي [المؤلف ضبطه (الرَّقاشي)، وهذا تصحيف، والصحيح ما أثبتُّه]، والأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك أبو شبل النخعي، وأبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة، وعبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي، وأبو رجاء العطاردي عمران بن تيم البصري، وأبو الأسود الدؤلي). ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٥٢-٥٩.

(٣) وهم: (عبيد بن نضلة الخزاعي، وعبيد بن عمرو السلماني، وزر بن حبيش، وسعد بن إلياس، وزيد بن بن وهب الجهني، عبد الرحمن بن أبي ليلى، وعمرو بن شرحبيل الهمداني، وعاصم بن ضمرة، وعبيد بن قيس الكلابي، ومحمد بن مسلم الزهري، وعكرمة بن خالد المخزومي، ومسروع بن الأجدع، وعبد الله ابن عامر اليحصبي، وأم الدرداء الصغرى). ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٦١-٧٠.

أحسن ترتيب عَرْضهم؛ إذ عَرَضهم حسب إدراكهم العصر النبوي (المختلف في صحبتهم، ثم التابعون الكبار، ثم سائر التابعين).

صور تبليغ النصّ القرآني شفاهيًّا بغير عرض:

حرص النبي ﷺ على تبليغ القرآن الكريم للناس بصورٍ شتى، ووسائل متنوعة، وقد اجتهد المؤلف في الفصل الرابع إذ حصر صور تبليغ النصّ القرآني إسماعًا بلا عرض، من خلال ما ورد في كتب السُّنة، وكتب السيرة، وقد بلغت تلك الصور (أربع عشرة) صورة، منها: (تسع) كان التلقي فيها عن النبي ﷺ مباشرة، و(خمس) كان التلقي فيها بواسطة صحابة بلَّغوا عن النبي ﷺ بأمره.

وهذا الحصر لم يسبقه فيه أحد، ويعدُّ إضافة علمية رائعة، ويغلب فيه الطابع الجماعي في مقابل طبقتي العرض الفردي.

وهذا بيانها:

١. إسماعه ﷺ مجلسَه المعتاد ما نزل عليه من القرآن في ذلك المجلس.

٢. قراءته ﷺ القرآن على مَن يدعوهم إلى الإسلام.

٣. قراءته ﷺ القرآن على الناس في المسجد.

٤. قراءته ﷺ القرآن على جمهور المسلمين إذا نزل عليه القرآن أثناء السفر.

٥. قراءته ﷺ القرآن، وإقراؤه بعض أصحابه القرآن بصورة فردية.

٦. تعليمه ﷺ القرآن لمن حضَر ليُسْلِم.

٧. كان ﷺ يَغْشَى الناس في مجالسهم يتلو عليهم القرآن.

٨. كان ﷺ يُسْمِعُ الناسَ القرآن في صلاته الجهرية.

٩. كان ﷺ يُسْمِعُ الناس القرآن في خُطَبه.

١٠. إبلاغه ﷺ تجمعات المسلمين ما نزل من القرآن بواسطة رسل منه إليهم.

١١. تكليفه ﷺ أصحابه رضي الله عنهم الحافظين أن يُقْرِئوا حديثي الإسلام.

١٢. إقراء الصحابة رضي الله عنهم بعضهم بعضًا في حضوره.

١٣. بعثه ﷺ الرسل إلى القرى والأقاليم؛ ليعلِّمُوا الناسَ القرآنَ.

١٤. تكليفه ﷺ أمراء جيوشه أن يقيموا في الذين يُسْلِمون، ويعلموهم القرآن[١].

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٧١-٨٥.

الذين استظهروا القرآن كله في حياته ﷺ:

الفرق بين الصحابة الذين استظهروا القرآن في حياة النبي ﷺ وبين أصحاب الطبقات أنهم لم يشترط فيهم أن يكونوا رأسًا في سند من الأسانيد؛ وتأتي أهمية هذه الطبقة باعتبارها إحدى طبقات التلقي السماعي؛ لكونها قبل كتابة المصاحف العثمانية.

وقد أحسن المؤلف إذ جعلها أحد الأدلة على توثيق سلامة انتقال النصّ الشريف، وحاول حصر أسمائهم، معتمدًا على مصدرين، هما: الأحاديث التي وردت بتسمية أشخاص بعينهم جمعوا القرآن، وبحوث قام بها بعض العلماء؛ كالسيوطي وغيره، ومن خلال هذين المصدرين جمع قائمة بأسماء ثلاثة وعشرين صحابيًّا، اختار منهم واحدًا وعشرين[1]، وترك اثنين، وهما: (عبد الواحد) للاختلاف في صحبته، و(مجمع بن جارية) لعدم إتمامه، حيث حفظ القرآن كلّه ما عدا سورتين، أو ثلاثًا.

---

(١) هم: (أبو بكر الصديق، أبو أيوب الأنصاري، أبو الدرداء، أبو موسى الأشعري [سقط سهوًا، في حين أنه ذكره أثناء عرضه للنقول]، تميم الداري، زيد بن ثابت، أبو زيد قيس بن السكن، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، سعد بن عبيد الأوسي، سعيد بن المنذر بن أوس، عبادة بن الصامت، عبد الله بن عمرو بن العاص، عبد الله بن قيس، عبد الله بن مسعود، عثمان بن عفان، عقبة بن عامر، على بن أبي طالب، عمر بن الخطاب، قيس بن أبي صعصعة، معاذ بن جبل، مجمع بن جارية، ورقة بنت عبد الله بن الحارث، عبد الواحد) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٩٠.

لا شك أن استظهار هذا العدد يقيم الحجّة على انتقال النصّ القرآني بجملته من متلقيه ﷺ إلى أمته في حياته بصورة تضاف إلى انتقاله بصورة العرض، ويؤكد سلامة النصّ في هذا الانتقال؛ لأن كثرة عدد المستظهرين يحول دون اجتماعهم على التحريف، كما أن هذا العدد يزيد عن الحدّ الأدنى في العدد الذي يتحقق به التواتر، وهذا بجانب الآلاف الذين حفظ كلّ منهم قدرًا من النصّ القرآني الشريف يجتمع منه القرآن، وهذا يمثل مستوى آخر من التواتر، ومن الرقابة على سلامة النصّ رقابة متبادلة[1]، وهذا له حظه فيما يأتي من أثر مقرئي العامة في انتقال النصّ القرآني، وانتشاره.

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٩٠.

مقرِئو العامة:

ذكر المؤلف أن المقصود بمقرئي العامة، هم حافظو القرآن الذين يتنصبون لإقراء مَن يأتيهم مِن جمهور المسلمين، ولهم مقوّمات خمسة، وهي:

١. يثبتون في مكانٍ ما يغلب عليه أن يكون في المسجد؛ ليكون عامًّا ومظنة لورود جمهور هذا الاتجاه.

٢. يتفرّغون –أو يكادون– للإقراء ليس لهم شغل غيره.

٣. جمهورهم عامّ، ليس مقصورًا على مَن يقصدون حفظ القرآن.

٤. ولا على من يقصدون أن يتحولوا بعد ما يحصلونه من القرآن إلى مقرئين.

٥. ولا على من يريدون أن يحصلوا على إسناد في القراءة[١].

ومن هؤلاء على سبيل المثال: (عمر، وعثمان، وعليّ رضي الله عنهم) غير أن الولاية شغلتهم، وكذا (أُبيّ بن كعب)، و(أبو موسى الأشعري) حيث أتاحت له ولايته على البصرة من قِبل (عمر) ممارسة هذا النوع من الإقراء.

وقد اجتهد المؤلف في ذكر بعضهم، ورتّبهم حسب تفوقهم في هذا المجال من الأدنى إلى الأعلى على النحو الآتي:

---

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص٩٢.

زيد بن ثابت، ويتفوّق عليه عبد الله بن مسعود، ثم يتفوّق عليهم أبو الدرداء الذي انتصب للإقراء في دمشق فقرأ عليه الآلاف، ثم أبو عبد الرحمن السلمي من التابعين.

ولا شك أن لهذا النوع من الإقراء العامّ أهمية كبيرة في استفاضة العلم بالقرآن؛ إذْ ليس من شرطِ كونِ القرآنِ متواترًا أن يحفظ الكلُّ الكلَّ، بل الشيء الكثير إذا روى كلَّ جزء منه خلقٌ كثير عُلِم ضرورةً وحَصل متواترًا[1].

استفاضة القرآن في الأُمة:

من الإشكالات المتعلقة بالنقل الشفاهي ذيوع القرآن وانتشاره، وقد ناقش المؤلف ذلك؛ فبيَّن أن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى، إلّا والشطر الأكبر من الجزيرة العربية يلهج لهجًا بالقرآن العظيم، وزادت هذه الاستفاضة بعد انتقاله ﷺ، بسبب الفتوحات، وانتشار الإسلام شرقًا وغربًا.

وقد أحسن المؤلف إذ وظّف ما لديه من الأخبار المروية، والآثار التاريخية لمعالجة هذه الإشكالية؛ إذ وضّح -مثلًا- أنّ انزعاج حذيفة من اختلاف جنود المسلمين المشاركين في فتح أرمينية وأذربيجان في قراءة القرآن يعني أن القرآن

(١) ينظر: المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، المعروف بـ(أبي شامة)، (ت: ٦٦٥هـ)، (١/ ٤٠)، تح: طيار آلتي قولاج، دار صادر، بيروت، ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م.

كان منتشرًا بقراءته بين الآلاف من المسلمين من شتى الأقطار الإسلامية، وكان لهذا الانتشار والاستفاضة واقع ملموس، وحقيقة مشهودة، كانت دعمًا عظيمًا آزر تلك الطبقات التي اتصلت قراءتها برسول الله ﷺ من أعلى، وامتدت لتُخرِج من بين حمَلة أسانيدها المتصلة أولئك القراء العشرة الذين اعتمدت الأمة قراءتهم[1]، وهذا له حظه في النظر إلى ما بعد ذلك من أسماء القراء العشرة.

الأئمة العشرة:

نسبت القراءات المتواترة إلى الأئمة العشرة ورواتهم، فما معنى هذه النسبة؟ وما سرّ اختصاصهم دون غيرهم؟

وقد أجاب بأن نسبة القراءة إليهم: (نسبة اختيار أداء، واختيار حروف، لا نسبة ابتكار قراءة، أو حرف)، وسرّ اختصاصهم دون غيرهم: (أن كلّ واحد منهم اجتمعت فيه أربعة أمور)، هي:

١. وثاقة سنده القرائي بما لا يخالف الرسم العثماني.

٢. إجادته القراءة مع فقهٍ فيها.

٣. تجرده للإقراء مع ملازمته لما رواه، وما اختاره، بحيث تميَّز له مذهبٌ في القراءة.

---

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص١٠٠.

٤. تسليم أهل مِصرِه بإمامته، واجتماعهم على تقديمه، والتلقي منه[١].

واستدل على ذلك بأقوال أهل العلم -ممن عاصروهم- التي تفيد إمامتهم في ذلك المجال[٢]، وبذكر سلسلة إسناد كل واحد منهم، بما يفيد اتصال نقل القرآن، وتواتره[٣].

سِرّ تعدُّد القراءات، ومداه:

تناول الفصل العاشر إشكالية ناتجة عما مضى من إشكاليات عالجها، تتمثّل في تساؤلات تطرح نفسها: لماذا هذا التعدّد القرائي؟ هل كان ضروريًّا؟ وهل بين هذه القراءات فروق؟ وما مدى سعتها؟ ثم ما مدى تأثيرها في وحدة النصّ القرآني الكريم؟

وأجاب بأن التعدّد له (شطر ضروري)، وهو الاختلاف في النوع الأدائي (اللهجي) كتحقيق الهمزة وتسهيلها، والإمالة...إلخ، و(شطر من رحمة الله سبحانه وتعالى) استجابةً لضراعة الرسول ﷺ، ومنه نزول القرآن بالأحرف السبعة، وأجاب عن باقي الأسئلة ضمنًا، فذكر أن الفروق بين القراءات محدودة للغاية من حيث المعنى؛ وبالتالي فلا تؤثر على وحدة النصّ القرآني[٤].

---

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص١٠١-١٠٣.

(٢) ينظر: السابق، ص١٠٣-١١٩.

(٣) ينظر: السابق، ص١٢٠-١٤٩.

(٤) ينظر: السابق، ص١٥٠-١٥٦.

وثاقة النص القرآني بالتدوين الخطّي:

وُثِّقَ النصُّ الكريم بالتدوين الخطي في عهد النبي ﷺ، ثم بجمْعِ أبي بكر، ثم بانتساخ عثمان.

وقد عقَد المؤلف الباب الثاني لذلك، وذكَر بعض الإضاءات -من خلال الروايات، والآثار المروية- التي تصبّ في خدمة هذه الإشكالية، كنهي النبي ﷺ أن يُكتب غير القرآن؛ للاحتياط للنصّ القرآني، والتميز المادي النوعي له؛ حتى لا تكون هناك أيّة فرصة لالتباسه بغيره[1].

كما أكد على فورية تسجيل النصّ القرآني في المرحلتين المكية والمدنية بثلاثة أمور:

١. كَتَابة الوحي، في حضوره ﷺ، وقيمة هذه الفورية تنحصر في أن الذي كُتب هو عين ما أُوحي إليه.

٢. و(معارضة رمضانية) مرة كل عام، ومرتين عام وفاته؛ للتحقّق من صحة ما كُتب سنويًّا، وهي معارضة تنصبّ على رفع ما نسخ من النص الكريم، وتثبيت ما شاء الله من حروفه.

(١) ينظر: وثاقة نقل النصّ القرآني، ص١٥٩، ١٦٠.

٣. و(معارضة بشرية) من الرسول ﷺ لِكُتَّابِه؛ للتحقق من مطابقة المكتوب لما أُمْلِيَ عليهم، واستدلّ المؤلف بنصوص وآثار وصلَت إلى تحديد موضع الآية من بين آيات السورة.

وهذا المكتوب بين يديه ﷺ هو عين ما سُجِّل في جَمْع الصدّيق، ولكن زِيد توثيقه بالمطابقة بينه وبين ما تُلُقِّي عن الرسول ﷺ مشافهة، أمّا نَسْخ عثمان فلم يغيِّر شيئًا، غير أن تعدد المصاحف سمح باختلافٍ محدود مِن نوع: (وَصَّى، وأَوْصَى).

وختم الباب بذكر عدد المصاحف العثمانية، وترتيب السور فيها، والحرف الذي كُتِبَت به وقيمته، ومعالم رسمها.

أبرز مزايا الكتاب:

أولًا: المزايا المنهجية:

١. يعدُّ الباب الأول أبرز مزايا الكتاب؛ لأنّ المؤلف تعرّض فيه لطُرق انتقال النصّ الشفهي بطريقة فريدة ونادرة.

٢. عُمْق تناوله للمسائل وتحريرها، وظهور شخصية الكاتب، وضح ذلك في أكثر من موطن؛ كاستدراكه على الذهبي بعض الأسماء في الطبقة الأولى والثانية.

٣. بعض الإضافات العلمية القيِّمة التي لم يُسبق إليها؛ كذِكرِه صور تبليغ الرسول القرآن إسماعًا بلا عرض، ومحاولة حصر أسماء مقرئي العامة وترتيبها حسب التفوق في هذا النوع من الإقراء.

ثانيًا: المزايا الفنيّة:

١. من محاسن الترتيب تقديم سُبل النقل الشفاهي على النقل الخطِّي في الدراسة.

٢. التركيز الشديد، والبُعد عن الاستطراد، وسهولة اللغة، وحسن توظيف النصوص، وتسلسل الفصول، حتى إن القارئ ليشعر أن الفصل يخرج من رحم الفصل الذي قبله، كلّ ذلك ساعد على إيصال هدف الكتاب إلى القارئ.

أهم الملحوظات:

١. عدم اطّراد منهجية التعريفات؛ فمع مصطلح (العرض)، ذكَر التعريف اللغوي والاصطلاحي، وحلَّل وناقش. لكنه مع (التلقي) تتبعَ اللفظة قرآنيًّا فقط، وكان الأجدر أن ينطلق من التعريف اللغوي أولًا. وعند تعريف (الإقراء) لم يذكر تعريفًا لغويًّا، أو اصطلاحيًّا، إنما ذكر المراد منها.

٢. كما تجدر الإشارة إلى خلوّ الكتاب مِن ذِكر قائمة بأسماء المراجع والمصادر، علمًا بأن الكتاب زاخر بمصادر كثيرة ومتنوعة.

خاتمة:

أحسب أن الكتاب حقق هدفه، وفتح آفاقًا جديدة للولوج إلى إعادة دراسة طبقات القراء من زوايا أخرى، ومن هنا أقترح إعداد دراسة تهدف إلى حصر مقرئي العامة تشمل كلّ الأمصار، وترتيبهم وفقًا لتفوقهم في هذا المجال، وذِكر طرائقهم في الإقراء، وهل تطورت طرائقهم وصارت مدرسة قائمة بذاتها أو لا؟ لأن المؤلف لم يكن همّه الاستقصاء، إنما كان همّه تسجيل وجود هذا النوع من الإقراء، كما أقترح دراسة طبقات النساء اللواتي تلقَّينَ القرآن، فهو مما لم ينل حقه من الدراسة.